المحاضرة الخامسة :

الســـــــــــــرد :

حكـــايات ألف ليلة وليـــلة

على الرغم من انصراف العرب القدماء نحو فن الشعر إلا أن العرب عرفوا أشكالا من السرد (الحكي) منذ القديم ،ولكن (كما هو الحال مع الشعر) غلب عليها طابع المشافهة ،فلم تدون إلا في عصور لاحقة متأخرة ، وفي هذه المحاضرة سنتعرف على مفهوم السرد وأشكاله في التراث العربي ،ثم سنعرج على دراسة خاصة بأحد أشهر نماذجه ممثلة في " قصص ألف ليلة وليلة":

أولا : مفهوم السرد :

أ- لغة : هو التوالي والانتظام والاتصال ، فقد جاء في لسان العرب:" سرد تفيد تقدمة شيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض، وسرد الحديث : إذا تابعه ، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له ... وترد كلمة السرد بمعنى النسج "

ب- اصطلاحا :

هو :" فعل يقوم به الراوي أو السارد الذي ينتج القصة ، وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب".

والسرد والسردية في الاصطلاح الحديث قد ترد بمعنى واحد، ويقصد بهما: "تتابع الحالات والتحولات في خطاب ما على نحو ينتج المعنى".

والقصة المحكية تفترض وجود شخص يحكي وشخص يحكى له ،أي وجود تواصل بين طرف أول يدعى راويا أو ساردا ،وطرف ثان مروي له ، وبينهما قصة على النحو الآتي :

الراوي/ السارد ⟵ القصة ⟵ المروي له / المسرود له

فالسرد هو الكيفية التي تروى بها تلك القصة.

ثانيا : السرد العربي القديم : النشأة والتطور:

مارس العربي السرد شان أي إنسان في أي مكان ، بأشكال وصور متعددة ، فقد انتهى إلينا مما خلفه العرب تراث مهم ،والدراسات تتفق مجتمعة على أن القصص أو الموروث الحكائي العربي غني ومهم ، لكن :" الحكي والسرد كان موجودا يسير بتأني في ظل سلطة الشعر العربي ، حيث أنتج العرب السرد وما يجري مجراه وتركوا لنا تراثا هائلا منذ القدم ،وظل هذا الإنتاج يتزايد عبر الحقب والعصور "

لم يقتصر العرب في العهدين الأموي والعباسي على تدوين أخبار العرب بل اهتموا أيضا بالنقل ، فأخذوا عن اليونان بعض القصص والوقائع ،واغترفوا من التراث الهندي والفارسي الشيء الكثير ونقلوا بنوع خاص كتاب كليلة ودمنة في القصص التعليمي وكتاب ألف ليلة وليلة في القصص الفكاهي "

ويندرج ضمن فنون السرد العربي القديم الحكاية الشعبية ،الحكاية التاريخية ، الحكاية العجائبية ، المنام ، النادرة ، الأخبار ، الحكايات القصصية ، الأمثال ، المسامرات ، قصص الحيوان ،الرحلات ،السير.

أنواع السرد العربي القديم :

- **السرد اللغوي المقامي:** تهيمن عليه مظاهر الزخرفة والتنميق اللفظي ،وأصحاب هذا النمط السردي يلجأون إلى كل ما تتيحة اللغة من إمكانات وحيل أسلوبية ، مع المحافظة على عناصر الحكي وخصائصه ، ومن نماذج ذلك : مقامات بديع الزمان الهمداني ،ومقامات الحريري
- **السرد الرسائلي:** وهو سرد يأخذ من تقاليد الرسائل وأساليبها ، يغلب عليه طابع المفاكهة والانبساط والدعابة ويتمثل أكثر ما يتمثل في رسالة الغفران للمعري ، والتوابع والزوابع لابن شهيد.
- **السرد الخرافي:** وهو مرتبط بالحكايات والخرافات على لسان الحيوانات والجمادات وغيرها ،ويحمل مغزى تربويا وتوجيهيا يتعلق بالإنسان ذاته ،ويمكن أن نمثل لهذا النمط بكتاب كليلة ودمنة لابن المقفع .
- **السرد القصصي الفلسفي:** وهو سرد يتصل بأبعاد فلسفية عميقة ، وقد يناقش في شكل قصصي تلك المسائل ، ويمكن أن نمثل لهذا النوع من السرد بقصة :" حي بن يقظان" لابن طفيل و" رسائل إخوان الصفا" .

- **السرد الإخباري:** هو" القصة ذات الصبغة التاريخية"، حيث يجمع جانبا أدبيا يهدف إلى تسلية القارئ وإمتاعه بالنوادر والأخبار العجيبة ،وآخر تاريخيا يهدف للإعلام والإخبار ، يشيع هذا النوع من السرد في مؤلفات العرب القدماء بشكل لافت ، وأوضح مثال عليه كتاب " الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني ، بالإضافة إلى أخبار العشاق والعقلاء والمجانين والحمقى والمغفلين.
- **السرد القصصي الشعبي:** وهو سرد لا ينسب لفرد معين ولكن شاركت المجموعة /الشعب في تكوينه وإضافة القصص عليه ،فهو سرد تشاركي ، وغالبا ما نجد هذا النمط من السرد متوفرا في ألف ليلة وليلة"
- **السير الشعبية:** تحمل سيرة عجيبة لبطل خارق يتغلب على جميع الصعاب ،وله من القوة ما يتجاوز القدرات البشرية المعروفة ، ونجد هذا اللون السردي في قصة "الأميرة ذات الهمة " والسيرة الهلالية " و "سيرة عنترة" .

ثالثا :قصص ألف ليلة وليلة :

تعد من القصص القديمة في التراث العربي ، والكتاب مترجم عن اللغة الفارسية كما يذكر المسعودي وابن النديم ، فكان يعرف في الفارسية باسم " ألف خرافة/هزاز افسانة" ،

و"ألف ليلة وليلة هو مجموعة من القصص الشعبية اشترك في نسجها أكثر من حاك وأكثر من راو على مر الزمن لا يمكن تحديده بدقة ،وهذا يعني أن هذا الأثر قد نما على توالي الحقب وخضع لعملية تحوير وإضافات ليبلغ الغاية التي حددها له اسمه ويستقر أخيرا على صورته النهائية المعروفة "

موضوع قصص ألف ليلة وليلة : يحتوي مجموعة من الحكايات وأسمار مختلفة الموضوعات والأساليب والأغراض ، ولا تتجاوز حكاياته 264 حكاية ، وقد أريد بعدد ألف التكثير لا التحديد

والحكايات في ألف ليلة وليلة مفعمة بالعنصر العجائبي والغرائبي في سرد أخبار الملوك ، وحكايات مختلفة باختلاف البشر وطبائعهم ،كما تتنوع مازجة الواقع بالخيال ،والسحر العجائبي في سرد هذه الحكايات بعجائب القصص والأحاديث ، وعجائب الشخصيات من الأشباح والعفاريت ، وعجائب وصف الأمكنة من القصور والأبراج والمداخل ،والسفر إلى عالم سحري يسوده الخيال .

أصلها : يرجح ان يكون أصل " ألف ليلة وليلة " هندي فارسي ، وقد نقل من الفهلوية (الفارسية القديمة) إلى العربية خلال القرن الثالث الهجري ،وأضيف إلى هذا الأصل طائفة من القصص العربية التي صبغت بصبغة البيئة البغدادية والمصرية

ومما يؤكد الأصل الأجنبي لهذه القصة هو :

*- العناصر الهندية الموجودة في الكتاب تتمثل في : قصص الحيوان الهندي، ثم الإطار العام الذي تبدأ به القصة ،والحيلة التي قامت بها شهرزاد لإلهاء الملك ، وهذا موجود في الأدب الهندي .

*- أما الأثر اليوناني فهو واضح في قصة السندباد البحري وما فيها من مغامرات .

الكتاب عبارة عن بنيان يحتوي على ثلاثة أجنحة:

الجناح الأول : يحتوي على نصوص من أصل فارسي هندي .

الجناح الثاني : روايات ترجع إلى عهد العباسيين .وفيها قصص عن الحياة في بغداد وذكر لبعض الشخوص كهارون الرشيد وأبي نواس.

الجناح الثالث : يصور لنا تاريخ مصر إبان عهد الفاطميين ،وماكتب عن المماليك والعثمانيين.

وقد اتفق كل المتخصصين أن المؤلف غير معروف ، وهذه ميزة لا تتوفر لأي كتاب بحجم كتاب ألف ليلة وليلة ، عمل شارك فيه العديد من المؤلفين ،وليسوا جماعة أشخاص بل جماعة شعوب كاملة تمثل عدة حضارات.

بنية القصص في ألف ليلة وليلة:

أ- يخضع بناء القصص في كتاب ألف ليلة وليلة إلى **مقدمة إسنادية ثابتة** في أغلب هذه القصص وهي :" بلغني أيها الملك السعيد ...." **والهدف من الإسناد هو الإقناع بصدق الكلام .أي تحقيق المصداقية الحكائية والتوثيق السردي.**

ب- **(آلية التضمين الحكائي)** يخضع هذا النص السردي إلى منطق التضمين السردي ، فثمة حكاية إطارية تشكل محور النص العام تتناسل منها عبر الخيط الحكائي مجموعة من الحكايات تتكون ضمن هذا الإطار ، وتتفرع هذه القصص إلى عشرات أخرى غيرها بصورة عنقود من الحكايات القصيرة التي يغذيها ذلك الإطار ، فالحكايات تتوالد باستمرار مشكلة بنية سردية متداخلة .

والحكاية الإطار هي بمثابة الحكاية الأم التي تمد الحكاية الثانوية بأسباب الحياة والتوالد والبقاء المستمر.

قيمة ألف ليلة وليلة :

إن كتاب الف ليلة وليلة يحتل مكانة مرموقة **في الآداب العالمية** بقصصه الرائعة الخالدة التي تمثل **الادب الشعبي** أصدق تمثيل وتبرز معالمه وصفاته المميزة التي نالت اهتماما عالميا في الشرق والغرب ...وقد لاقت هذه الترجمات رواجا منقطع النظير ، بعد أن جعل الأوربيون منها مادة غزيرة الانتاج

وبفعل ترجمة نصوص حكائية عربية أدرك الغربيون ما للقصة من أثر فني ، فهي تغذي العقل وتنمي الملكات ،وتخصب الذهن وتوسع الملكات لذلك أقبلوا على كتابتها وسماعها .قال فولتير في ذلك :" إنني لم أزاول فن القصص إلا بعد أن قرأت ألف ليلة وليلة أربعة عشر مرة " .

كما يمتاز الكتاب بكونه :" **عالميا** اشترك في صنع صورته الأخيرة عدة من شعوب الأرض تدل على **الخصوصية العربية** في بناء القصة والحكاية الخرافية تحديدا، وتتجلى هذه الخصوصية أولا في **حسن تعريب ما ينسب إلى الشعوب الأخرى من خرافات حتى تصبح عندهم كما لو كانت من إبداعهم**"، ومن ثمة كما يرى الباحث محمد رجب النجار :" يحق لتراثنا أن يتباهى بامتلاكه ألف ليلة وليلة درة القصص الشعبي العربي ، ويحق لليالي العربية أن تتربع على عرض الحكي العالمي أميرة متوجة بغير منازع "

مراجع المحاضرة :

أحمد كمال زكي : عن ألف ليلة وليلة ، مجلة فصول ، عدد4، مجلد 12، 1994.

محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ط1، 1995.

مجموعة من المؤلفين :ألف ليلة وليلة تقديم محمد فتحي أبو بكر، تعليق عبد العزيز نبوي، تصدير صلاح فضل ،الدار المصرية اللبنانية .

محمد رمضان الجربي : الأدب المقارن ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،دط ، 2002.

المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ،دار الاندلس، بيروت ، 1973.

ابن النديم : الفهرست، دار المعرفة ، لبنان، 1978.

المسعودي : مروج الذهب .

شريفي عبد الواحد :ألف ليلة وليلة الأصول والتطور ، مجلة المعرفة ، سوريا ، عدد 441، 2000.

حنا الفاخوري : تاريخ الأدب العربي ، المكتبة البولسية ، ط12، 1987 .

محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي .

ابن منظور :لسان العرب .

لطيف زيتوني :معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ،ط1، 2002.

هادي طالب محسن العجيلي :مقدمة في السرد القديم ،مقالة الكترونية : http://www.uobabylon.edu.iq/

حميد لحميداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،المركز الثقافي العربي ، ط1، بيروت، 1991.

جهاد فاضل :إعادة الاعتبار للسرد العربي القديم ،موقع الراية الالكتروني https://www.raya.com/home/print